

صفحة ذهبية من تاريخ بنائه

البطريك اللبناني

الياس بطرس الحويك

بقلم المؤرخ منصور عواد عواد

٥

موقف البطريك من ربه (تابع)

موقفه من ربه في حياته السموية

العيشة المشتركة

عنوان الحياة الفردية في المرء اعماله في حياته السموية سواء أكان رجل دين أو رجل سياسة ، وفي هذا يصدق المثل القائل : « كل اناذ بما فيه ينضح » أجل ان الوظائف الكبيرة في الدنيا والدين تظهر ما يبطن اصحابها من فضائل وعيوب . وقد اظهرت حياة البطريك الحويك السموية ما أشرت اليه في حياته الحصرية من الفضائل المسيحية الراسخة ومن التقوى الحقيقية .

فند تبولاً السدة البطريركية اوجب الحياة المشتركة في كرميه على نفسه وعلى حاشيته . فكان امام الجميع في المحافظة عليها اذ كان متقيداً بنظام واحد للكل لا يجيد عنه قيد شمرة في الرقاد وفي النهوض ، في الصلاة وفي الاكل ، في القعود وفي القيام ، في العمل وفي الراحة . فكان يومه مرتباً لكل ساعة منه عمل خاص لا يتخلت عنه الا لسذ مشروع . وما كان يمدد نفسه عن الحياة المشتركة الا متى اقمده المرض ، بل كان يجهد نفسه في ذلك اكثر مما تقدر عليه دون ان يبدو منه ما يشمر به جزه عن القيام بتلك النوافل التي جعلها على ذاته وعلى حاشيته فرضاً . وتذكر حاشيته انه مرض مرضه الاخير في تعموية الميلاد ، ومع انه كان في اقصى درجات الشيخوخة ، وفي ايام البرد الشديد ، ومع انه كان مريضاً منذ ايام والموت يدب في عروقه وعظامه وهو لا يدري ، ولكنه

كان شاعراً بوطأة الداء في جسمه ، فإنه لم يتخلف عن المشاركة بالتصوية مع الجمهور في الكنيّة الى اربعة ايام قبل وفاته . وانه ، اذ كان عائداً من الكنيّة ، خاتمه قواه ، فارمى ببعز الداء . والشيخوخة فحل الى فراشه . ولما عاده الاطباء . ادركوا انه كان يمضي الى الصلاة في تلك المدة الاخيرة بقوة ارادته ومحبه لله لا بقوة جسمه !

والقريب انه حافظ على الحياة المشتركة القانونية في جميع مدة بطريركيته كأنه كان راهباً قانونياً مقيداً بذلك القانون ، وكان مدفوعاً الى تلك الحياة المرتبة في نفسه وفي جمهوره لا بروح المادة ولا يميل الترتيب النظري في الانسان ، بل بروح الفضيلة ، بروح الله تعالى لتقدس نفسه وتقديس من معه واعطاء المثل الصالح لجميع الاساقفة في اسقفياتهم ، وروسا . الاديار في اديارهم ، والرهبان الذين تقيدوا بالقانون بقوة النذور الاحتفالية . وكل من عاش في الصرح البطريركي يعلم حتى العلم ان البطريك الحويك كان في محافظته على العيشة المشتركة افضل من راهب قانوني مدقق في المحافظة على نذوره وقانونه وفرائضه .

الرياضة الروحية

وما كان يطمح تلميهاً الا ويكون قد سبق ومارسه بنفسه واشرك معه فيه حاشيته واساقفته طائفته جميعهم . فكان يرسل المرسلين كل سنة الى جميع الرعايا في ابرشيته انزامة للوعظ والانذار وتنبية الشعب الى واجباته الروحية والتجدد بالحياة المقدسة . وكان يتحدث مطارنة الابريشيات على العمل ذاته ، فيتلهل عندما يؤوب المرسلون ويجلسون امامه يقصون عليه اخبار رسالاتهم وما لاقوه من النجاح الزرحي في الرياضات التي القوها على الشعب .

فهذا التلمي الخلاصي كان يزاوله بذاته اذ يجمع كل حول جميع اساقفة الطائفة المارونية ويحتلي بهم وبجاشيته البطريركية في بكركي او في السديان يتدرب فيه معهم بدعوة كاهن او اثنين من علماء كهنة الطائفة المارونية وافاضاهم ، او من الآباء المرسلين اللبنانيين ، لالتقاء واعظ الرياضة عليه وعلى جمهوره . لهذا كان عندما يدعوا الشعب الماروني الى الرياضة الروحية كان لدعوته

التأثير العملي اذ كان الشعب يرى رئيسه الاعلى يصل ما يطمه اسوة يسوع
 « في جميع الامور التي عملها وعلم بها »

عبادته لقلب يسوع الاقدس

الحب لهيب في القلب لا يلبث ان يضرم ما حوله ويشع بنوره فتند
 وتنتشر حرارته. وقد قيل، وحق ما قيل، ان الحب لا يمتضي بل من طبعه الظهور
 والفيضان. فقلك المحبة التي كانت تتأجج في صدر الحويك لله ولابنه مخلص
 العالم يسوع كان لا بُدَّ لها من ان تجرز الى الخارج باشكالها الحية الممكنة .
 وقد بدت في محبته لقلب يسوع الاقدس، القلب الالهي والانساني، فكان من
 بواكير اعماله فور ارتقائه الى السدة البطريكية، انه اذاع منشوراً في ١ آب سنة
 ١٨٩٩ كرّس به الطائفة المارونية جماعه لقلب يسوع الاقدس مقتفياً بذلك آثار
 ولي نعمته امام الاجبار، البابا لاون الثالث عشر، ملياً اشارته المتفقة مع
 عواطف قلبه الكبير المضطرم بحببة ابن الله، ودعا جميع افراد الطائفة ليكرّس
 كل واحد ذاته لهذا القلب الالهي بحفلات علنية تُقام في كنائس الطائفة قد
 وضع لها شروطاً استعدادية تقوية رشيدة.

وما فتى جميع ادوار بطريكيته يخرّض الشعب الماروني على التمدد لقلب
 يسوع الاقدس بتنشيطه الذين كانوا يعنون بنشر عبادة هذا القلب الالهي
 بواسطة الاخويات، ونشر كتب العبادة والصور، وما اشبه. فكان يجيز طبع
 ما يتعلق بالعبادة للقلب الالهي بكل ارتياح، ويشع وجهه بالابتهاج والسرة
 عندما ييلفه انشاء اخوية جديدة لقلب يسوع في الرعايا او في الاديار. وامر ان
 يُحتفى بشهر حزيران، المخصص لعبادة قلب يسوع الالهي، في الكرسي
 البطريكي ذاته وكان يحضر الحفلة في الكنيسة كل مساء بنفسه ليعطي بذاته
 المثل الصالح لجميع ابنائه.

بعد ان وضعت الحرب الكونية اوزارها، ذهب البطريوك الحويك الى
 قرنة مقروضاً من قبل جميع ابنائه لبنان، فطالب باستقلال البلاد لدى مؤتمر

السلام برعاية الدولة الافرنسية. ثم آب الى لبنان مؤيداً حاملاً حرك استقلاله. فاستقبله اللبنانيون على اختلاف مذاهبهم وطوائفهم بمهرجان عظيم نادر النظير كما سبقوا وشيروه شاكرين نشاطه ومقدرته ناسبين اليه الفوز في تحقيق امانهم. اما هو فاعلن بنشور مؤرخ في ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ انه اتكل ، في سفره الى موتمر السلام للمطالبة بحقوق اللبنانيين ، على قلب يسوع ، وان هذا القلب الالهي قد استجاب له واتاله امنيته وامنية البلاد. لهذا يكرس له الطائفة المارونية مجدداً ، وقرّر ان يقيم له تمثالاً في لبنان تحليداً لنمته الالهية بنيل الاستقلال ولكي يكون تمثال القلب الالهي للطائفة المارونية وللبلاد داعياً الى الاقتداء به بالعيشة المقدسة الكاملة ليمجد الله بهذا الجيل وابنائهم . ثم جمعت التبرعات في لبنان والمهجر قلبية لنداء الشيخ ولكن البطريك توفي قبل القيام بالامر الخالد . اما المال فمحفوظ للشروع بالعمل وسيكون هذا الامر من آثار محبة الحويك لقلب يسوع الالهي . ويحسن بنا هنا ان نردّد عبارة البطريك العظيم في ذلك المنشور النفيس قال مخاطباً الشعب الماروني وابناء لبنان : « لا ننحنيكم ايها الابناء الاعزاء اننا لا عولنا على السفر الى اوربة في اواسط تموز من العام الماضي لنُدافع ما استطعنا عن حقوق لبنان هالنا الامر وشمرنا بمب المهمة الخطيرة التي القيسوها على عاتقنا الضيف لما كان من تناكس النيات وتناكس السياسات حزل مسألتنا ولكي نستنهض هممتنا رفقنا بنظرنا الى القلب الالهي الحنون قلب يسوع الالهي ملجأ المبروسين وملاذ المهوفين وابتهلنا اليه بكل حرارة قلبنا ان يسهل طرقنا ويحظينا لدى عظام الارض بما حاولنا التمسه باسم اهل وطننا . « ربما ان القلب الالهي لم يشأ ان يكون التجاوزنا اليه عبثاً بل اراد رحمة بنا ومكافأة لتقوى اجدادنا ان يحقق اماننا وينيلنا بفيننا فقد اقتضى من باب معرفة الجيل ان نكرس للقلب الالهي طائفتنا التي اشهرت وامتازت بتسكها بعري الدين القويم وان نجعل لبنان واهله تحت كنفه الخاص وحماء السامي . وقد ارتأينا تحليداً لذكر هذا العمل التقوي ان نقيم اثرًا يملوه تمثال القلب الالهي ويشترك جميعكم في نفقاته كل حسب امكانه ويكون لبنيكم وبني بفيكم من بعدكم ما كان لبني اسرائيل الاثنا عشر حجراً التي ركوها يشوع

ابن نون بعد عجرة الاردن اي تذكرة لهم بمظانم الرب فيتقونه كل الايام .

عبادته لمريم المذرا.

متى تفتحت الاكام بدت الازهار للاميون بالوانها الساحرة ، واجتذبت الانوف بشذا عطورها . فهذه العطور وتلك الزهور لو ظلت في الاكام مستورة لما درى بها احد غير انها ما كانت في جوهرها اقل قيمة وحقيقة . والتقوى الفردية تبقى مخفية ولا يذيرها الانسان الا اذا كان رجلاً عموماً ، او اذا عمل عملاً عمومية والاعمال هي التي تنم عما في باطن الانسان . فتمجد البطريك اللبناني للمذرا . في طفولته وحدائمه وكهنوته واسقيته كان مخفياً في كم التواضع والعيشة المنفردة ، فجاء ارتقاؤه الى البطريكية فاشراً لتلك الفضيلة ففاح اريجها وطيب الارحاء اللبنانية بل جميع الارحاء . التي انتهى اليها صوت شيخ لبنان .

في ٧ ايلول سنة ١٩٠٣ ، ارسل منشوره السادس الى الطائفة المارونية وجعله بمثابة دستور للوارثة يتنادم العمل به الى الخلاص الابدي وواجب العبادة لمريم با انها ام الله وام الجميع ، وسار على خطوات البابا لاون الثالث عشر مكرساً للمذرا . شهر تشرين الاول لتكريم سيدة الوردية بتلاوة تلك المسبحة في الكنيسة او في البيوت ، واعطاه البركة بايقونة المذرا ، وامر ان يُحتفى الاحتفاء الشائق بتذكار العيد الحميني لاثبات عقيدة الجبل بلا دنس .

اما هو فلم يكتب لنفسه ولحاشيته البطريكية بان يخص باكرام البتول سيدة الوردية شهر تشرين الاول ، بل جعل كل ايام السنة وكل حياته البطريكية شهر تشرين اذ كان يشترك كل مساء مع جمهوره بتلاوة مسبحة الوردية وباعطاء البركة بايقونتها ، ثم تصمد لها الاناشيد بنغمات شمامسته الرخيمة الشجية فتمتدح مع روائح البخور ودخانها وتضع مع انفاس البطريك القدسية الخارجة من صدر مضطرب بمسحة البتول صاعدة الى السماء الى عرش - اطانة السماء والارض ا

الى البتول كان يفرح في ملتاته وملئات الطائفة والبلاد . ففي بدء الحرب العالمية قد احدر منشوراً الى الطائفة حرض به ابناؤه على الالتجاء الى هذه الام الحنون وواجب تلاوة تلك ورديتها وزياح ايقونتها في الكنائس طول



سيدة لبنان

مدة الحرب. وما ان انتهت حتى اصدر منشوره في ٨ كانون الاول ١٩١٨ شاكراً الله على نهايتها ناصحاً نخباً نخباً البقية الباقية في لبنان الى عناية امنا مريم المذرا. ، حاثاً الجميع على زيادة التجدد لها بالاكرام الحقيقي على مثال اجدادنا. وقد نسب اندحار الترك وتخلص ظلمهم عن البلاد في شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ دون ان يتمكنوا من الصيغ بالبلاد فساداً وخراباً ، الى شفاعة المذرا. اسوةً بما نالته اوربة على يدها في ٧ تشرين الاول ذاته سنة ١٥٧١ من دحر الترك واغراق عمارتهم في لباته.

ولمّا امّ باريس للثول امام اساطين السياسة في مؤتمر السلام ، عرّج على رومية ، والتفتت مع من التفت حوله من الجالية المارونية ، واخذنا نساله عن البلاد وما يتوقمه في باريس لمهمته من النجاح . ففتح عينيه الكبيرتين ونظر الى السماء. وقال بصوت سُمعت به نبرات ايمانه الحي بالله وثقتة التي لا تتزعزع بالمذرا: «يا اولادي لا تستطيع ان اتكل على رجال السياسة ولا على وعودهم فالسياسة لا دين لها فهي التي ضيّت الملايين في مجازر الحرب ايتفق رجالها بما فيه مصلحة شعبنا ونحن اقلية ضئيلة غريبة عنهم وهم لم يشفقوا على ابنائهم ؟ انا متكلم على الله وعلى هذه المسبحة ، واثار الى مسبحة المذرا. وهي بيده ، فصاروا . ممي لان قوة المذرا. مريم فوق كل قوة بشرية بما انها ام الله والله لا يرفض لامه طلباً وهي لا تحبب طالباً » لهذا نسب اليها الفوز عندما عاد من باريس واذاع منشوره الصادر في ٨ ك ١ سنة ١٩٢٠ السابق الذكر .

لاجل هذا كان يلتجئ الى المذرا. عند انجاس النيث ، وعند هجوم الجراد ، وعند اشتداد المحين ، وعند نزول الملائات ، وكان يخاطبها ويألها مخاطبة الابن البار لامه الحنون بدائه لم تر لها مثيلاً بين الابن وبين والدته الطييمة بحسب الجسد او قد اراد ان يكون لها في كل قرية من لبنان كنيسة على اسمها ، وفي كل كنيسة مذبج ، وان تكون ايقونتها في كل بيت وعلى كل صدر . وان يكون اسمها على كل شفة ، وعلى كل لسان . وما اكثر ما سُئِد من الكنائس في ايامه وبارسه وتنشيطه على اسمها . وكان السباق الى اكرامها اكراماً جمهورياً اذ شاد لها بالاشترار مع ممثل الكرسي الرسولي الاثر الخالد

في حريصا ، ذلك الاثر الذي اصبح مزاراً لجميع الطوائف الكاثوليكية في هذه البلاد يزورونه كل عام ، ولاسيما في شهر ايار المبارك يحملون اليها زهور نفوسهم وفضائلهم وزهور الطيبة في الربيع الزاهي . ومن الحلو على القلوب انه ما زار احد تماثيل العذراء في حريصا الا عرج في رجوعه على بكركي لزيارة البطريك اللبناني كأنه جاء يشكره على اهتمامه بهنا الاثر او كأن للبطريك اللبناني رابطة خصوصية بالعذراء . وقد كان البطريك يتقبل الجماهير الزائرين بباطمة محبة وانمطاف كأنه رئيس تشريفات البلاط الملوكي عند العذراء المجيدة : وكان بكركي هي بلاط تلك السلطنة ! ان ابناء لبنان يذكرون ذلك منذ اقامة الاثر في حريصا الى رقاد البطريك الاخير .

تشيد الكنائس والاديار في بطريركيته

لم يكن مقالياً خطيب امريكا الجنوبية المقوّه ، المطران ميثيل ده اندرايا ، عندما رثى البطريك اللبناني في كاتدرائية بونس ايرس يوم ٩ آذار سنة ١٩٣٢ اذ قال عنه : « فعمله كبطريك انطاكية وسائر المشرق قد جاء كبيراً متنوعاً ومختصاً . ففي النظام الديني زاه قد شيد ١٨ ديراً و ٢٢ كنيسة »^(١) فالحقيقة كذلك اذا ما قهرنا النظر على ما شيد في الابرشية والبلاد الخاضعة لولايتيه رأساً . واما اذا نظرنا الى ولايته على الطائفة فالاناشآت الدينية هي اضاف الاضفاف . ان الشمراء والحطباء عندما كانوا يتفتنون بآثر البطريك في حياته كانوا يتصرون على ذكر تشييده لقصر الديان ، وتجديده لمدرسة دومية ، ومركز الطائفة المارونية في القدس ، مع ان الكنائس والمعابد والاديار التي تجددت او تشيدت في ابرشيته البطريركية وفي الطائفة في لبنان او في المهجر بامره او بتنشيطه او بايمازه او بمثله لمديدة . فلم يأت عصر من العصور تجدد فيه في الطائفة المارونية من الكنائس والاديار والمعابد ما يشابه عصر البطريك الحويك . ولاسيما من حيث الهندسة والفضامة والنظمة اللائقة بخدمه الجلال الالهي . فلم يكن للمهاجرين قبله كنيسة ولا مبد في ديار القرية . اما اليوم فقد اصح

(١) مجلة المارة : السنة الثالثة ، العدد الرابع ، في اول نيسان سنة ١٩٣٢ ، صفحة ٣١٤

المهاجرون الموارنة يفاخرون المتخلفين بمدد كتانهم، وكلها من الطراز الهندسي الحديث تحفة في الفن والذوق . ولم تكن عنايته بتجديد بيوت الله بشكل تظهر فيه عظمة الهندسة والفن الا ليكون مظهر المادة الخارجية الواجة على الانسان نحو خالقه لائقاً بالله جلّ جلاله . وكان يأبي ان يكون بيت الله احقر من بيوت الناس . بل كان يريد ان يكون هيكل الرب متميزاً عن جميع منازل الناس مرتفعاً عنها وعن قصور عظام الارض بسداجته وعظمته ارتفاعاً الله عن مساوقاته بالعظمة والكرامة !

فالذي يرى كتانس كفرصناب ، والماتورة ، وبجه ، وبقا عكفوه ، واهميج ، واديار راهبات العائلة المقدسة المارونيات في عبرين ، والبثرون ، وبيروت ، يفهم كم كانت محبة لله تتجلى في ببناء المياكل وتشيد المابد والاديار حيث ينصرف الناس الى عبادة الله واكرام اوليائه . ويهلم من اي طراز هي بقية الانشآت الدينية التي تمت في ابرشية البطريوك والطائفة في ايامه .

موقف البطريوك تجاه الاولياء

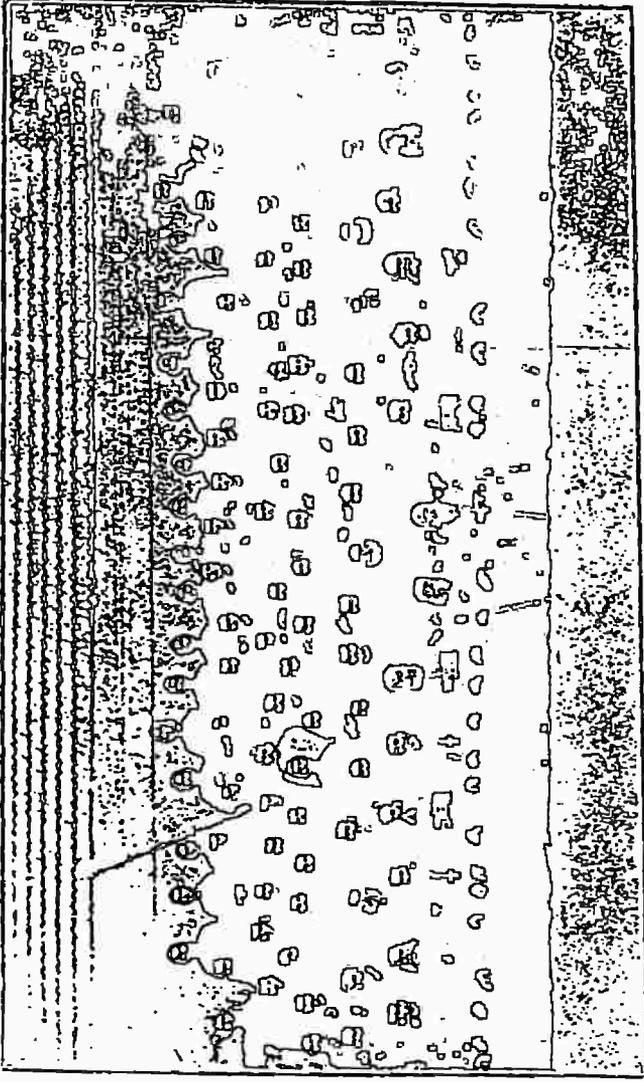
من كان كله لله لا يفرح الا متى رأى الناس كلهم مثله لله قلباً وقالباً . ومن كان اباً لعائلة ، او رئيساً لطائفة ، او سيداً لبلاد ، يمتد ان من واجباته ان يقدس مرؤوسيه ويكثاهم بكلمات الله ؛ فينزل في هذا السيل كل قواه وقيته روحه بالله وينطلق لسانه بشكره عندما تتحقق آماله بينيه ويراهم في اعلى درجات سلم القداسة فيأخذ في اكرامهم وتعظيمهم ليشفوا به وباخوانهم ، ولكي يتخذ ابناؤه الاحياء من اكرامه هذا لارلياء الله مشالاً ينسبهم الى الاقتداء بهم فتصير تلك البعثة بقمة القديسين ، وتنتقل السبا الى الارض او تصير الارض سماء !

كان شماس البطريوك الحويك وتعليمه بمثله في حياته الطويلة ، وفي بطريوكيته التنية مجلائل الاعمال الآية الانجيلية السامية المعاني : « كونوا كاملين كما ان اباكم السماوي هو كامل »^{١١}

فهو عاش كاملاً في جميع ادوار حياته ، ومات كاملاً ، على قدر ما يستطيع الضعف البشري ان يبلغ من الكمال الانجيلي . وكان في كل ايامه يكرم اوليا- الله لقداستهم المشابهة لقداسة الله كأنها ظلها على الارض وقد اراد ان يفهم ابنا. طائفته ان كل شيء- يسمون وراه اذا لم يكن واسطة بلوغ القداسة فهو باطل لان كل اكرام يزول ولا يحق الاكرام الدائم الا للفضيلة المسيحية المقرونة بالبطولة التي يكون اصلها من الله ، وغايتها الله ، وكلها الله .

فتش في سير القديسين الشرقيين فوجد السنكار حافلاً باخبارهم من صدر النحرانية الى القرن العاشر ، حيث طوي الفر ولم يمد يذكر للشرق قديس ، كأن السماء أغلقت في وجوههم ، مع انه رأى ان حياة الموارنة في شقوق الارض وفي المناور في هذا الجيل ملتحفين بالقر والبوس والذاجة لاجل تمسكهم بعميقة الايمان بالمسيح وبرومية هي عين القداسة . ورأى ان الوادي الذي قطنه سلفاؤه البطاركة والنسك والحباء في قنوبين ، عند سفح الارز ، قد دُعي وادي قاديشا اي وادي القديسين . فاباد ان يستعيد مجد الكنيسة الشرقية الاول ، وبلاً صفحات السنكار الروماني بدير ابنا. طائفته ليفتح لهم الطريق مجدداً الى الارتقا. فوق المذابح ، بحياة مقدسة مترمة عن كل عيب ولوم ، غنية بالفضائل السامية وبيطولة رجال الله فابتداً بتعاون ابنيه الروحي ، بل اغز ابناؤه ، الاباتي اغناطيوس التنوري ، عهد كان رئيساً عاماً على الرهبانية اللبنانية ، بمحدث جديد في تاريخ الطائفة والشرق الا وهو حدث تثبت القديسين من الموارنة تثبتاً قانونياً .

- وبأسر منه تألفت لجنة خصيصه لهذا الغرض كان لي الحظ ان اكون من اعضائها ، فباشرت اعمالها رسمياً في المقر البطريكي في بكركي يوم ٤ آذار هنة ١٩٢٦ ، اذ حلفت اليمين بين يديه بمحضرة اساقفته وسائر حاشيته الكريمة ، وحلف هو ايضاً بين الامانة المفروضة في مثل هذه الحال من الكرسي الرسولي ويوشر الفحص الاخباري عن شهرة قداسة ثلاثة من عبيد الله الموارنة وعن فضائلهم وعجائبهم وهم الاب نعمة الله كآب الحوديبي ، والاب شربل مخلوف بقاعكفره ، والرابسة رفقا الرئيس من حملايا (بكفيا) . وكلهم من ابنا.



الجنة الحافلة التي خُصمت في حضورها التحفيمات الثانوية بخصوص عبيد الله نعمة الله الحمداني وشربل بناع كقرا والراهبة
رفقا الرئيس في ٢٠ حزيران ١٩٢٨

الرهانية اللبنانية المارونية^١ . وكان يراقب بذاته اعمال هذه اللجنة ، ويسهل لها الطرق ولا يطم الا الله كم بلغ اغتباطه يوم ختمت اللجنة اعمالها بمجلة حافلة في دير سيدة المعونات ، مركز الرئاسة العامة للرهانية اللبنانية في جبيل ، بحضور نيافة القاصد الرسولي السيد فريديانو جيانيني السامي الاحترام ، وستة من اساقفة الطائفة المارونية ، وميتروبوليت بيروت وجبيل على الروم الكاثوليك ، وروسا . عام الـرهانيات المارونية الثلاث ، ورهط اعظم من الـرهبان والوجهاء في البلاد^٢ وذلك في ٢٠ حزيران سنة ١٩٢٨ .

ولما رفعت الاوراق بعد الجلسة الى قداسة الـخبر الاعظم اشفعها بتوصية منه ما كتب اجل منها ولا الح في حياته بطلب كما الح على قداسه في تلك التوصية متمماً الانعطاف والاسراع في هذه الدعوى لتتزمى الطائفة وترى على المذابح القداسة مكرمةً باشخاص ابنانها اولئك الثلاثة .

فكان عمله صفحة مجيدة خالدة جديدة في تاريخ الشرق يبقى تاجاً لجبينه وهالة سبارية لا تقارن ذكره ، وستوضع على مفرقه يوم يرفع هو بدوره ، ان شا . الله ، للاكرام على المذابح لاجل قداسة سيرته وسور فضائله .

في اثناء السير في تلك الدعوى الجديدة ، اي سنة ١٩٢٦ ، حدث حادث خطير في الشرق المسيحي وهو ان الـرهانية الفرنسيكانية كانت تسمى ، منذ حوادث سنة ١٨٦٠ المشنومة في دمشق ، لتطويب ابنائها الثانية الذين سقطوا شهداء ايمانهم في عاصمة الامويين وكان قد تقرر ان قداسة البابا اعزم على اعلان هؤلاء الثانية طوباريين .

وكان البطريرك الحويك ملتزماً مع اساقفته في الرياضة الروحانية السنوية

(١) ان هذه اللجنة كانت مزلفة من المرحوم المورى اسقف بوحنا كبراس ، بصفة رئيس ، ومن المورى اسقف يوسف داغر ، والمورى نمرة اله القدوم ، بصفة قاضيين معاونين ؛ والمورى منصور عواد بصفة محامي الايمان ، والمورى الياس ضو بصفة مسجل ، والاب اغناطيوس الحدوتي بصفة مباشر ، ثم تبين المرحوم الأسقف علي المورى بطرس غالب الملاحة السامل المفرد بين الكهنة علماً وفضيلة وحصافة ترجماناً ، والاب يوسف عارج ناسخاً .

(٢) راجع « صفحة مجيدة في تاريخ الدين في الشرق » المطبوعة في المطبعة الكاثوليكية للاباء اليسوعيين سنة ١٩٢٨ .

في بكرتي بعد عيد الفصح . فارتأى ان ياتس من قداسة البابا بيوس الحادي عشر ان يتنازل ويعلن الموارنة الثلاثة رفقاء الآباء الثومنيكانين في دمشق في الاستشهاد طوبارين ايضاً ، ووضع استغاثة بهذا المعنى وشاركه فيها اساقفته وارقتها بمثل البابا المحبوب في بلادنا برجاء من ٢٠٠٤. فابلت الاستغاثة الى سامع خليفة القديس بطرس ونائب السيد المسيح على الارض ، قداسة البابا بيوس الحادي عشر ، حتى تنازل واستجاب الرجا . وارفد السيد كارلو سالوتي الى دمشق خصيصاً للفحص ، واسمدي الحظ فكنت ترجمانه في كل ذلك . وفي ١٠ تشرين الاول سنة ١٩٢٦ اعلن قداسة البابا فرنسيس سابكي وشقيقه عبد المظي ورافائيل من ابنا الطائفة المارونية الطلبيين ، شهداء الايمان ، طوبارين . وتقدم قداسه في بده الجميع وقدم لهم في كنيسه القديس بطرس الملوكية في رومية الاكرام . وعلى مثله سار العالم الكاثوليكي وراه في تكريمهم . فاصدر البطريرك الحويك في ٢١ كانون الاول من تلك السنة ذاتها ١٩٢٦ . نشوره الشائق في شهداء دمشق الموارنة . فافاض فيه قلبه الابوي وقربت في كل سطر من سطوره عواطف التعزية والهجة كأن غبطته كان يشارك ابنا اولئك الثلاثة ، مع سائر القديسين الذين تقدمونا الى السماء من هذه البقعة المباركة والطائفة العزيزة ، في مجدهم ولا غرو فإيمان بالله وبسائه كان متيناً فكان ينظر الى الامور المرجوة كأنها حاضرة امام عينيه . وقد دعى ذلك الحدث الخطير تمزية روحية للطائفة وللشرق أجمع ، وتوقع من ورائه للآئين مستقبلاً سميماً ونادى على رؤوس الملبأ بان حصون الطائفة المارونية هم شهداؤها وقديسوها . وقد تناسى عنده صرح بذلك انه يوجد دول ذات حول وطول في البر والبحر ، وحقه ان يتناسى لانه كان شاهداً بطول حياته لاعظم الانتقالات البشرية واضمحلال سلطنتات وامبراطوريات وممالك ذات قوى هائلة ما كان يحلم الناس بسرعة زوالها واضمحلالها كما شاهد هو ذلك بنفسه .

اجل ان الدول العظيمة تلاشت سريعاً والشهداء والقديسين يزوا بمجدهم الخالد على انقاضها وانتصروا عليها ، فحق له ان ينادي بان حصون الطائفة هم قديسوها وشهداؤها .

وفي الققرة الآتية التي نقلها من ذلك المنشور الدائم المذكور صورة حية
لنفس البطريوك ولمواطفه كلها ومختصراً لبرنامج حياته العملية ولظايفه منها
قال :^(١)

« ففتح لنا ولكم إذا ان نمتخر بهذا اليوم العظيم ونخصه بسفر جايل في
صفحات تاريخنا اذ نرى فيه باعين الايمان جوقة من قديسي طائفتنا وقديساتها وقد
زاد عددهم الآن بشهادتنا الدهشقين تحمي بهم الطائفة كحصون منيعة فلا
يمترها خوف ولا يتولاها قنوط ولا تمياً بطوارى الحدثن والاضطرابات لانها
على يقين من ان دماء شهدائنا كما قال ترتليانوس هي « بذار لذرية مسيحية
صالحة » ولانها على ثقة من وعود القادي الصادقة القائل « لا تخف ايها القطيع
الصغير لقد سُرَّ ابوكم ان يعطيكم الملكوت »^(٢)

وقد اراد ان يتنع ابنا الطائفة والبلاد بمثل فرنسيس مابكي ، وب
العائلة الوجيه القديس ، بان الانسان ، مها كان مقامه ومهما كانت منزلته
في الهيئة الاجتماعية ، يمكنه ان يوفق بين الدين والدنيا ، وانه لا شيء في هذه
الدنيا يفنيها عن القداسة او يحول بيتنا وبيتها ا

وقد رأينا ذلك البطريوك العظيم في جميع حياته يجب من الاحياء من كانوا
اقرب الناس الى القديسين ويقرب الاتقياء ولا يفرح إلا بإخبار ذوي الفضيلة .
فاليم كان يرتاح في حياته ويستسلم في اعماله ولا ينفرد إلا من الخطيئة . ولا
غرو فقد كان كل قصده ان يصل الى الله وان يوصل معه الذين عهدت اليه العناية
الالهية بتدبيرهم .

بطريوك العناية الالهية

نبغس البطريوك اللبناني حقه اذا لم تذكر شيئاً عن تمسكه بمضايقة الله ،
ونبغس حقه اذا شئنا وصف اتكاله على العناية الالهية لان ذلك فوق الوصف .

(١) راجع في مناشير البطريوك الحويك الذخائر النبوية المطبوعة في مطبعة الاباء المرلين

اللبنانيين في جونية ١٩٣١

(٢) لوقا ١٢ : ٢٢

حسبنا ان نقول انه كان عائشاً في جميع احواله وايامه كأنه يرى الله وجهاً لوجه . وكان يتنقى بمنية الله ، ويخبر الناس ولاسيما في اواخر ايامه ، وخاصةً عند نزول الملقات واشتداد الازمات والاحوال عليه وعلى الفازين اليه ، عما حدث له في تجديد مدرسة رومية ، وفي تأسيس رهبانية راهبات المائة المقدسة المارونيات . وُضرب المثل بهاتين الروايتين فكان يقصهما على كل جليس مرات كلما جاء اليه جليسه يتشكى من امر او يتذمر من حاكم ، او يفتن من ملمة ! وكانت المنية تراققه وتأخذ بيده وتبلغ به الى نجاح ما توقعه له احد من الناس ولا انتظره هو لنفسه اذلك فانه دائماً يردد بصوت متهدج : « نشكر الله انشكر الله ! الله يدبر ا »

ولم يفظ ابنا. عصره اذا كانوا اسموه بطريوك المنية الالهية ورجل المنية الالهية . فقد كان كذلك وما فاز به في الدين والدنيا لم يكن من تقدير رجل ولا بقوة انسان بل « من عند الرب كان ذلك وهو عجب في اعيننا » لان الله الذي يفتي بزهور الحقل، وبطيير السماء ، ويشرق شمس على الاشرار كما يشرقها على الصالحين ويسكب غيثه على الفجار كما يسكب على الابرار انراه يهمل من احبه بالقول والفكر والفعل منذ ابصر النور في حلتا الى ان اغمض عينيه في بكركي ؟ ! كلا . بل قد ارسل ملاكه امام وجهه طول ايام حياته فا عثرت بجحر رجلاه ولا زلّ لانه . جاء الى العالم طفلاً بحكمة الشيخ ، وفارق العالم شيخاً بذاجة الاطفال ! وهكذا يكون ابنا. الملكوت الذين يمشون بمنية الله لله وحده عاملين كأن الله غير موجود ، وتلك كين النتيجة كلها الله كأنهم غير موجودين . فتبارك موقف البطريوك اللبثاني من ربه كم كان شريفاً وتبارك الله في بطريوكه القديس !